

أحمد عمر شيخ مبدع جميل



بقلم: فاروق شوشة

المصادفة وحدها هي التي جعلتني أتعرف علي أحمد عمر شيخ من خلال الدورة العربية لمعهد الإعلاميين الأفارقة حيث جاء إلي القاهرة ممثلاً للإعلام الإترني في دورة هذا العام ضمن مجموعة متميزة من الدارسين تمثل جزر القمر وغينيا كونكري وتشاد وإرتريا واثيوبيا وموريتانيا وجيبوتي. وكان لحواراتنا حول الثقافة والبرامج الثقافية- في الإذاعة والتلفزيون- من حيث المفهوم والوسائل والأهداف والمشكلات فضل اكتشاف علاقته الحميمة بالإبداع شاعرا وروائيا، وقراءتي لروايته: نوراى وأحزان المطر ومجموعة من قصائده الجديدة التي يستعد لإصدارها في ديوان بعد أن صدر له من قبل ديوانا حين لم يعد الغريب(1993) و تفاصيل امرأة قادمة من السودان(1994) وروايته الأشرعة(1999) وهي الجزء الأول من أحزان المطر(2001).

وكما يفصح العطر عن نفسه من أول شميم كان إفصاح شاعريته المتوقدة عن نفسها في شعره وفي روايته. فهو شاعر في المقام الأول ثم هو شاعر حين يبدع رواياته في لغة مترعة بوهج الشعر ويضمنها الكثير من الوقفات الشعرية ويتوج فصولها ببعض الأبيات الشعرية الدالة لإضفاء المزيد من المعنى قبل الإيغال بالقارئ في مفاصل كتابته الروائية كما يسميها.

وسرعان ما اكتشفت أن ناشر كتاباته يشاركه مغامرته حين ينشر روايته نوراى الأم هي التي تطلق علي وليدها هذا الاسم وهو اسم مشتق من النور وينتشر هذا الاسم في المنخفضات الإترنية الغربية علي الرغم من ارتباط الشخصية في النص بالبحر كدلالة رمزية للعبور العبور الي الوطن ومحاولة القبض علي تفاصيل الصورة هكذا يقول أحمد عمر شيخ في تقديم روايته, أما ناشره الذي يقدم أولي تجاربه في النشر فيقول: نحن شعب

يطمح الي ان يتواصل مع محيطه, ارتريا بلد اللغات التسع والتعدد الثقافي العرقي تراث وفلكلور مهجر ولجوء واقع الشتات بكل امتدادات, تاريخ نضالي طويل, تشابكات وتقاطعات ما بعد التحرير نسجها كاتبا الشاب عبر إرث الماضي وهموم وتطلعات الحاضر تقع ارتيرا في شمال شرق افريقيا علي البحر الأحمر عاصمتها أسمرة أو أسمرا كما ينطقها أهل البلاد يحدها السواندن في الغرب وإثيوبيا في الجنوب وهي هضبة ذات تضاريس تنتهي الي سهل ساحلي ضيق. وأودية خصيبة في الوسط يسكنها - كما تقول الموسوعة العربية الميسرة الصادرة عام1965 - رعاة من أصول حامية ومن منتجاتها الموالح والحبوب والقطن والجلود. لكن الموسوعة بالطبع لا تشير الي النزاعات والحروب بين ارتريا وإثيوبيا- طيلة السنوات الأخيرة- حول الحدود والأرض التي اقتطعت من ارتريا وضمت لإثيوبيا بقرار من هيئة الأمم في عام1949 أو قيام دولة إرتريا المستقلة منذ عام1992.

يقول أحمد عمر شيخ عن موطنه, إنه قرية علي ضفاف البحر الأحمر تسمى زولا وفي روايته يسميها عزولي كما تنطق علي لسان أهالي المنطقة تحريفا للاسم التاريخي القديم عدوليس وهو ميناء تاريخي قديم تعاقب عليه البطالسة والعرب القدماء - تقوم قرينته علي أطلالة, وعدوليس هذه هي التي جاء ذكرها في معلقة طرفة بن العبد حين قال:

عدولية أو من سفين ابن يامين  
يجور بها الملاح طورا ويهتدي  
يشق حباب الماء حيزومها بها  
كما قسم الترب المفایل باليد

هكذا يقول احمد عمر شيخ بينما يجمع شراح المعلقات علي ان طرفة يصف موكب محبوبته خولة التي سماها المالكية بما يضمه من حدوج أي هوادج - جمع هودج - تشبه الخلايا أي السفن الضخمة التي تمضي في أرجاء البحر ويقول عنها إنها عدولية نسبة الي عدولي وهي مدينة علي سواحل البحرين مشهورة بصناعة السفن أما ابن يامن فملاح من أهل هجر - الواقعة علي سواحل البحرين أيضا - كان مشهورا في هذه المنطقة. فأي الروائيتين, نصدق رواية أحمد عمر شيخ أم رواية شراح المعلقات!  
ولد أحمد عمر شيخ في جدة بالسعودية عام1966 - وفي روايته نوراي تصوير بديع لرحلة العودة الي الوطن ارتريا والموطن زولا عبر ميناء ارتريا الرئيسي مصوع علي البحر الأحمر. حصل علي البكالوريوس في علوم الاقتصاد والادارة في عام1990 وعمل منذ عام1992 معدا ومقدما للعديد من البرامج الاذاعية والتلفزيونية في بلاده وفي مقدمة انجازاته الاعلامية تأسيسه لملتقي الحوار الارتري اول وأهم منبر جماهيري مفتوح يناقش أهم القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية في مرحلة انتقال ارتريا من الشرعية الثورية الي الشرعية الدستورية يرتاده القضاة والمعلمون والسياسيون والموظفون وتتابعه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فضلا عن صحف الشرق الأوسط و الحياة وصوت ارتريا وبعض مواقع الانترنت.

حصل احمد عمر شيخ علي جائزة في الشعر من جامعة الملك عبد العزيز عام 1987 - وهو لايزال طالبا بالجامعة ثم علي أول جائزة تخصص للشعر الإرتري المكتوب بالعربية عام 1995 وهي جائزة رايموك ثم حصل علي أول جائزة رايموك تخصص للأدب الإرتري المكتوب بالعربية عام 1997 وعلي جائزة أرتيون للسلام والدفاع عام 1999 وأتيح للعديد من قصائده ان ينشر في الصحف والمجلات الأدبية العربية - السعودية خاصة - والمنتدي الاماراتية الموقف الأدبي السورية وإبداع المصرية.

يعتز أحمد عمر شيخ بإجادته للعربية والكتابة بها - في بلد يضم تسع لغات ويتسع للتعدد الثقافي العرقي - ويقول عن نفسه انه يكتب عجمته باللغة العربية ويهتم بتكريس هذه اللغة من الواقع الإرتري ولكن بوجهها المشرق والمتجدد سهما بهذا الموقف في جدل الهوية الإرترية ( وهل هو انتماء عربي أم أفريقي اسلامي ام مسيحي) أملا أن يمد المثقفون العرب أيديهم الي المبدعين بالعربية من أبناء ارتريا - فنحن منهم وهم منا كما يقول - وهناك من وشائج القربي والامتدادات المتواصلة عبر العصور مما يحتم ذلك.

وعلي مدي عشر سنوات - منذ عام 1992 - وأحمد عمر شيخ يري في وضع الشعر العربي علي خريطة البرامج الإذاعية والتلفزيونية تأكيدا لهذا الاتجاه ومواكبة لميلاد الدولة الإرترية التي تجتاز عامها العاشر الآن والتي يتواصل مبدعوها من أصحاب الوجه الثقافي العروبي مع الواقع الثقافي العربي بكل ملامحه وتنوعاته. فاللغة العربية انتماء ووجدان في ارتريا وتمثل طموحا لعدد كبير من الإرتريين الذين ينتمي ثمانون في المائة منهم الي سلالات هاجرت بعد انهيار سد مأرب في جنوب الجزيرة العربية والي الهجرات التي حدثت بعد ذلك وأهمها هجرة الصحابة الأوائل الي الحبشة واقامة أول مسجد بني في الاسلام في مدينة مصوع التي كان اسمها القديم باضع من حمل البضائع ونقلها - كما ذكر المسعودي. لذا كان طبيعيا أن نجد من رواد الكتابة بالعربية في ارتريا الشاعر احمد محمد سعد الذي توفي في السنوات الأخيرة من سبعينيات القرن الماضي والشاعر عبد الرحمن سكاب الذي تجاوز السبعينات من العمر ويقوم الآن في اليمن. ثم يجيء من بعدهما أحمد عمر شيخ ليصبح إبداعه بالعربية في الشعر والرواية حلقة جديدة في هذه السلسلة الذهبية وإضافة عصرية تحمل لغتها الجديدة المتوترة وهمها الوطني والقومي وفوران جدل الهوية ومواجهة العولمة او الهيمنة في محاولة دائبة - كما يقول - لتجاوز المألوف والعادي في قيمة جمالية تنحاز الي كل ما هو إنساني عبر مضامين وأشكال جديدة. فالقصيدة - في رأيه - لا يمكن ان تركز الي السائد وتجتر الماضي في رتابة بل يجب ان تكون بنت عصرها وثائرة علي مستوي الشكل والمضمون.

يقول أحمد عمر شيخ في قصيدته أنشودة ساحلية  
اقترب..

فاليالي تنيه علي منكبيها الشهب  
والرؤي واهمة  
ازرع الهم وامض بدرب الغضب

إنها الخاتمة  
تستطيل بقاماتنا والسحب  
فالوصيد الوصيد  
واشتعل عبر بهو القصيد  
وتهاد علي همهات الوريد  
إنها الخطوة القادمة  
أيها الأسمر المتلألئ عبر الفضاء النشيد

\*\*\*

وطني أيها الانتماء  
اي سهد يورق هم النخيل  
انه المستحيل  
يترنح عبر فيافي الرحيل  
وطني أيها الكبرياء  
اي طفل يغوص ببحر العراء  
والرؤي واهمة  
أيها المرتقب  
ارحل الآن عبر اشتعال الغضب  
أيها المستباح  
إنها الخاتمة  
فازرع الهم وامض بدرب الصباح!

ويقول في قصيدته رقصة الطيور التي صاغ مقطعها الأول في بناء كلاسيكي محكم وكأنه  
يقيم جدلا شعريا بين الصيغتين: العمودية والتفعلية أو لعله يريد أن يذكر بالاساس التراثي  
الذي يتكى عليه ويقدمه في صورة تنضح بالعصرية حين يقول:

هدهد سماءك حلق أيها البطل  
غيث المجاهل والاحلام تشتعل  
شوق المدائن لاريت نقابله  
موج الأصائل في الأحداق يرتحل  
عزف النوارس ياويح الهوي قدر  
صمت الشواهد أم ياريح قد ثملوا  
صفو الأرائك لا نأسي لموعدنا  
شدو السنابل لاتييه ولا ختل  
هذي الدروب لنا لاابد نعرفها  
كيما نردد: 'يا للفجر يكتمل'

يغفو المدار علي شباك حجرتنا  
بوح الفواحل والأوتار تنهمل  
عزم الارترى والاماد جاثية  
سخر القوافل يا انسان يا أمل  
غيث المواسم لا خل يجافينا  
هذي سماؤك رفر ف ايها البطل!  
للطيور النذور  
للمواقيت آجالها  
والردي  
للعراجين ظل التصوف في الأفندة  
للتفتح غب انهيار الدخول لنا  
كل هذا المدي  
أي شئ سدي  
هل سدي  
حين صاغ السؤال العتيد  
تتماهي ببهو الرحيل  
غفا طيفه السرمدى علي المائدة  
رب طفل عراه الشحوب النبيل  
سما وتناهي الي  
سمعه البصري الدوي  
شوارع من زمهرير الندي  
أل.. قوس الفدا  
لانشطار المرايا  
علي الوجه وجه  
وسهد الوجوه حدا!

\*\*\*

ليت الصديق العزيز الدكتور سمير سرحان- رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب - يتيح لكتابات أحمد عمر شيخ وأقرانه من المبدعين الارترين بالعربية طبعة مصرية تصدر من القاهرة وتتيح لهذه الابداعات الجديدة - لغة ورؤي وتوجهات ومغامرة دورانا بين القراء في مصر والوطن العربي ومشاركة في القضاء علي حاجز العزلة بيننا وبين مبدعين - ينتمون اليها وننتمي اليهم - تراثا ولغة ووجدانا ومعاصرة في معركة مصيرية واحدة هي معركة بقاء الحرف العربي صامدا في وجه عصر الأمركة والعبرنة واقتلاع الهويات والقوميات واستحداث خرائط جديدة للعالم الذي يصوغونه علي هواهم. لكننا - كما يقول الشاعر الفلسطيني - علي رءوسهم باقون راسخون كالجبال!